# الصورة التشبيهية في شعر دعبل الخزاعي دراسة بلاغية تحليلية

أ .د. سعد محمد علي التميمي
الجامعة المستنصرية /كلية التربية

## دعبل الخزاعي الشاعر المصور

أمتاز شعر دعبل الخزاعي بالحضور الواضح والمميز للصورة البيانية فيه مما يعكس خصوبة خيال الشاعر وتمكنه من اللغة بشكل كبير ، إلا أنّ هذا الشعر قد ضاع معضمه ولم ينل الذي وصل إلينا منها إهتمام الباحثين والدارسين ، بسبب مواقفه السياسية من احداث التاريخ ودفاعه عنها بقوة وهجائه لخصومهِ [١] ، فضلاً عن اسلوبه المقذع في الهجاء ،إلا أنه صاحب منهج شعريّ تقليديّ رصين أمتاز بجزالة الاسلوب وبراعة التصور ، ولان هذا الشاعر لم ينل حقه من الدراسة والتحليل على الرغم من جودة قصائده جاء هذا البحث ليدرس الصورة البيانية في شعره ، وقد حصرنا الدراسة بالشعر المنسوب للشاعر بالإجماع .

ودعبل بن علي الخزاعي من خزاعة ولد سنة ١٤٨ هـ وتوفي ٢٤٦هـ وقيل ان دعبل لقب والدّعبل هي الناقدة الشديدة [٢] ، واسمه الحسين ، وقيل عبد الرحمن وقيل محمد وكنيته ابو جعفر اصله من الكوفة لكنه ترك الكوفة وخرج منها ، وكان أكثر مقامه في بغداد وسافر إلى غيرها فدخل دمشق ومصر وكان يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلّها ويرجع وقد افاد وأثرى وكان شديد التعصب للقحطانية على النزارية وقد نظم قصيدة رد فيها على الكُميت بن زيد يناقض قصيدته المذهبة التي هجا قبائل اليمن [٣] .

وقد عرف دعبل بتشيعه وتمسكه بأهل البيت (عليهم السلام ) رغم ماواجهه من ملاحقات من قبل خصومهم وقصيدته التائية تعد من أحسن ماقيل في مدحهم وقد قصد بها إلامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام ) بخرسان فأعطاه عشرة الاف درهم وخلع عليه بردة من ثيابه فأعطاه بها اهل قم ثلاثين الف درهم فلم يبعها . فقطعوا عليه الطريق فاخذوها فقال لهم :إنّها انما تزاد الله عزوجل وهي محرمة عليكم فدفعوا اليه ثلاثين الف درهم . فحلف الا يبيعها او يعطوه بعضها ليكون من كفنه فأعطوه فد كمّ فكان في أكفانه[٤] .

**الصورة التشبيهية :**

الصورة هي الشكل الذي يميز الشيء أو يقابل المادة وصورة التمثال عند أرسطو هي الشكل الذي أعطاه التمثال إياه ومادته هي ما صنع فيه [٥] وترد الصورة في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته فيقال : صورة الفعل كذا وكذا اي هيئة وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته [٦] وصورة الشيء ما يؤخذ منه عند حذف المشخصات، ويقال صورة الشيء ما به يحصل الشيء بالفعل وهي عند التشريف الجرجاني الصورة الجسمية والصورة النوعية [٧] وقد أهتم النقد الأدبي الحديث بالصورة وبأوصاف مختلفة كالأدبية والفنّية والشعريّة والبلاغيّة والبيانيّة ، ولعلّ الأوصاف الثلاثة الأول أعم والبلاغيّة والبيانية أخص والأخيرة تشمل الصورة التشبيهية والاستعارية والكنائية وكان العرب قد ذكروها من خلال ذلك[٨] .

ُتعّدُ الصورة التشبيهية عمدة الصورة البيانية في شعر دعبل الخزاعي نظراً لوفرتها ودورتها في التقريب بين المتباعدات والمختلفات بما يجعلها مظهر احتفاء بالواقع وبعلاقات الواقع بما يفضي إلى تقريب المعاني وتأكيد المقاصد الشعريّة، وتقوم الصورة التشبيهية على نمطين أساسيين هما : التشبيه والتمثيل فهما لفظان مترادفان لمعنى وإن كان بينهما عموم وخصوص إذ كل تمثيل تشبيه وليس كلّ تشبيه تمثيلاً ولكلّ واحد منهما خصوصية والتي امتاز بها ، الفرق بين التشبيه والتمثيل : إن أدراك المشابهه التي تقوم على التشبيه تختلف عن أفكارها في التمثيل إذ المشابهه في التشبيه يحتاج أدراكها إلى قدر من التأمل وفضل روية ولطف فكرة [٩]، والسبب في ذالك أن ( التشبيه ) صورة بسيطة لوجه شبه بسيط ، يقتضيه السياق ويراعى ثقافة العامة و (التمثيل) صورة مركبة لا تحصل إلا يحمله من الكلام ، وسواء أكانت تلك المشابهه قريبة أم بعيدة واضحة أم خفية فإن المشاركة التشبيهية التي يقررها التشبيه تظل مشاركة أولية وتصويرية صرفة لا تبلغ المشاركة التشبيهية التي في التمثيل.

والتشبيه : يعرف بأنه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال وهذه العلاقة قد تستند إلى مشابهه حسية أو مشابهه في الحكم والمقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو كثير من الصفات المحسوسة من هنا فإن التشبيه قد يكون في الهيئة وقد يكون في المعنى وأنه قد يقع تارةً بالصورة والصفة وأخرى بالحال والطريقة.

وسواء أكانت المتشابهه بين الطرفين تقوم على أساس من الحس أم أساس من العقل فإن العلاقة التي تربط بينهما هي علاقة مقارنة أساساً . وليست علاقة اتحاد أو تفاعل وعلى هذا فالتشبيه هو

محض مقارنة بين طرفين متميزاً لاْشتراك بينهما في اصفه نفسها أو في مقتضى حكم لها [١٠] ويؤد هذا المعنى ابن رشيق القيرواني الذي يرى أن "التشبيه صفة الشيئ بما قاربه أو شاكله من جهة واحدة أو جهات كثيره لا من جميع جهاته لاْنه لو ناسبه كلية لكان إياه " [١١] والتشبيه جار كثيرا في كلام العرب اذ يقول المبرد " حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد " [١٢] ، وهو في شعر دعبل ابرز مظاهر التصوير البياني إذ وجدنا ما يقارب من مائة وخمسين صورة بيانية كان التشبيه أساسها .

أما الأْبعاد الفنية للصورة التشبيهية فانها تختلف من صورة الى اخرى بناءً على ذكر أو حذف بعض العناصر التي تقوم عليها الصورة التشبيهية وقد تطرق الخطيب القنرويني إلى ذلك في ختام كلامه عن التشبيه مبيناً مراتبه [١٣] ويرى أبن الاْثير إن التشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز . أما كونه أبلغ فلجعل المشبه شبه به من غير واسطه أداه . فيكون هواياه – فإنك إذا قلت ( زيداً أسد ) كنت قد جعلته أسداً من غير إظهار أداة التشبيه أما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه [١٤] وخلاصة القول أن الأْبعاد الفنية للصورة التشبيهية تكمن في استخدام الرابطين المعنوي واللفظي .وفي سهولة أو صعوبة ادراك المشابهه بين المشبه والمشبه به أي قرب الصورة أو مباشرتها أو بعدها وغموضها .

وكل صورة تقوم على هذه العناصر مع مراعاة الحذف والذكر فإنما تقدم لنا موازنه تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والاْحوال . وأول ما سنقوم بدراسته وتحليله هو تلك الصور التي تعتمد على التشبيه بوصفها صوراً تدرك درجة الشبه فيها مباشرةً دون تأول ، فالتشبيه : (يسهم بقدر عال من الفاعلية في تحريك الصورة ومنحها الحيوية والخصوبة لا سيما عندما تحمل سمه الجدة والإبتكار ) وتكمن فاعليته ودوره الوظيفي في نقل معنى ( المشبه به ) الى المشبه لعلاقة بين طرفيه تقوم على (المشابهه) سواء كانت حسية أم ذهنية ،ثم يترك للمتلقي مساحة واسعة من القراءة المنتجة التي تضيء العلاقات المتشابكه بين طرفيه مما يثري دلالة الصورة وايجادتها [١٥] كما في قول دعبل يصف وجها قبيحا [١٦] :

**وجه كوجه الغول فيه سماجة ففوهة شوهاء ذات مشافر** [١٧]

فالشاعر فصل في صورة المشبه به في هذا البيت وهو قليل الورود في شعر دعبل الخزاعي ومحدوده البناء حيث لم يرد إلا مرات معدودة لا تتجاوز العشر صور . فالمتلقي لايحتاج لكد الذهن حتى يقع على أسرار الصورة فيه أوغرائبها فهي أقرب ماتكون الى الأخبار والأعلام منه الى الايحاء الايماء ومن هنا كان ضعفها وبساطتها وانعدام الصفة فيها .

وهذا يقودنا الى فهم قدرة الشاعر العالية وحسه النقدي الذي دفعه الى تجاوز هذه البنية المتدينة بما فيها من بساطة ومباشرة في التعبير . فهو شاعر مجيد يتمتع بذئقه أدبيه عالية وحس مرهف وأذا ماتوقفنا عنده هذه البنية سنجد أنها لم ترد بمقوماتها العادية والمالوفة بل نجد أن الشاعر حاول النهوض بها ومنحها حيوية ترفع من قيمتها الفنية وعلى الرغم من أنها لا ترتقي إلى المستوى الفني للصورة التشبيهية في البنية التشبيهية المجمل إلا أنها لا تنحط إلى درجة هذا البنية (بنية التشبيه المفصل ) المتعارف عليها . وذلك لانها وإن كانت تصويرا مباشرا وتقريريا إلا أن ثمة (كلمة ) جاءت بين الصورة تحمل شيئاً من الغموض والابهام الذي يدفع بالتلقي لكد ذهنه وأطالة الفكرة حتى يتصور منظر هذا الوجه وهذه الكلمة (الغول ) هذا الكائن الوهمي الذي لم يعرفه أحد من العرب وإنما استعرب للدلالة على القبح والشراسة وغير ذلك من ألأوصاف الذي ينقر منها الطبع البشري وقد استخدمها الشاعر ليمنح عقل المتلقي مساحة يتحرك فيها حقيقة هذا الوجه وهو بهذا ألاستخدام قد أكسب الصورة قيمة فنية راقية عما هو متعارف في أصل هذه البنية حيث لجأ الى تصوير قبح وجه المرأة بوجه الغول . وهذا الوجه (المشبه به ) هو وجه لكائن خيالي وهمي غير معروف فيحلق المتلقي بخياله وراء هذا الوهم وبهذا نجد الصورة قد ارتقت فلا تسلم مغزاها إلا بعد كد ذهني . وهكذا نجد استخدام هذه البنية من بين بنى التشبيه لم يعد الاستخدام المعادي المألوف لها بل أصبحت تقترب من بنية التشبيه المجمل عند هذا الشاعر وهذا يقودنا الى حقيقة مهمة مفادها أن الشاعر عندما استعمل هذه البنية فيها مايرتقي بها . وما حدث في هذه الصورة نجده يتكرر في مواضع اخرى من شعره كما في قوله يهجو قوما [١٨] .

**حواجب كالجبال سود إلى عثانين كالمخالي** [١٩]

وهذه الصورة تولد من خلال تشبيهين أحدهما مطلق مجمل مباشر والثاني يقوم الطرف الاول منه على اتحاد عنصرين ليكون امتداداً للاول في تصوير قبح المنظر لهذه الوجوه التي يتحدث عنها . أي انه تجاوز الصورة الأولى وجاء بهذه الصورة لتشكل امتداداً لها في رسم الدلالة وبناءها بناءاً فنياً راقياً ينهض ببساطة الصورة لتوازي القيمة الفنية لبنية التشبيه المجمل وهكذا نجد الشاعر في الأبيات الأخرى من خلال الجهد الذي يبذله يحاول دائماً أن يرتقي بهذه البنية إلى مستوى متقدم من الأداء وهذا الاستعمال يعد اشارة واضحة إلى أن ورود هذه البنية في شعر دعبل بشكل محدود مع محاولة الارتقاء بها وإعطائها أبعاد فنية جديدة سواءً أ كان هذا الاستخدام بوعي أم بغير وعي . يعكس قدرة عالية في الخلق الفني والإبداع الأدبي لدى هذا الشاعر .

**بنيية التشبيه المجمل :**

أكثر دعبل الخزاعي من استعمال هذه البنية حيث بلغ عدد الصور التي قامت على التشبيه المجمل احدى وستين صورة ، وهذا التراكم العددي لهذه البنية عنده له دلالة على شغف الشاعر باستعمال هذه البنية التي تعد أرقى درجة من بينة التشبيه المفصل الذي أضعف جمال الصورة وشعريتها ووسمها بالمباشرة والوضوح . مع أن الغموض في الشعر ميزة وهو ماتتسم به في بعض جوانب بنية التشبيه المجمل ومن هنا نتلمس في التشبيه المجمل سمة أبداع ومعاناة وخلق قد لا نجدها في التشبيه المفضل . فمثلاً الشاعر قد يدرك العلاقة الخصبة التي تربط بين (المشبه والمشبه به ) لكنه لا يجهر بها وإنما يضمنها في ثنايا الصورة ولذلك تميز هذا النوع من التشبيه (بالأكتناز وتطلب من القارئ أجتهاد خالصاً) يمتلكه من إدراك غايات الشاعر من الكلام وأكتشاف طبيعة العلاقة الرابطة بين طرفي الصورة ومن نماذج هذه البنية عنده قوله[٢٠]:

**بصرف كأنها ألسن البـر ق إذا استعرضت رقيق السحاب**
**أرقت لبرق آخر الليل منصب خفي كمبطن الحية المتقلـب**
**كأنها تعسة من طول حيرتها منها على نفسه يوم الوغى رصد** [٢١]

حيث ورد المشبه مفرداً بسيطاً لكنه عمد في المشبه به ألى التكثيف في رسم الصورة فشبه البرق بالحية ثم حذفها تاركاً قرينتها (ألسن) ثم قيدها بـ(في رقيق السحاب) بحيث ينتج عن هذا التركيب والخلط لون أحمر مائل إلى البياض (احمر فاتح) وكل هذا التكثيف في رسم هيئة المشبه به ليشير إلى قضية اللون مما يجعل المتلقي يشعر بشيئ من الملل وهو يجهد قواه العقلية في البحث عن كنه الصورة ليتبين له في نهاية المطاف أن المراد هو اللون وهذا التكلف في رسم الصورة لا يكون في كل الأحوال معياراً يزيد من القيمة الفنية للصورة إلا بقد مايكون ملائماً للمعنى المرافق له والمعبر عنه . لهذا نجد أن الشاعر لم يكن موفقاً في رسم هذه الصورة بحيث أن اشتغاله في تضخيم المبني جاء على حساب المعنى . ولهذا نجد أن جمالية الصورة في هذا البيت لا ترتقي إلى الجمالية المفترضة في هذه البنية . كما سوف نبينه في بنية البيت الثاني الذي تقوم فيه الصورة على البنية الآتية .

شبه + أداة + مشبه به

برق + الكاف + بطن الحية

حيث ابتدأ هذه الصورة باستعمال الفعل (أرقت) الذي يمثل مشكلة الشاعر الذي يعاني منها ثم تحول مباشرةً ليصور أسبابها مشيراً إلى البرق كعامل أساسي في إذكاء نارها فيشبهه ببطنِ الحية المتقلب الذي يزداد افرازاً للسمِ لكما تغلب ويأتي الزمن (آخر الليل) ليشكل عنصرا ًفاعلاً في بناء الصورة ويزيد من دينامية الصورة.

فهو يعاني الهم والحزن وثقل الليل الذي يتضاعف فيه ألمه ، متطلعاً إلى الصباح والنور وإلى الضياء الذي يبدد هذا الظلام ويذهب بالهم فيأتي البرق فيظن وميضه شعاع الصباح وضوئه فيستبشر بالأنفكاك عن هذه الحالة الوجدانية الكئيبة . لكنه سرعان ماتبين له بأنه وميض برق فارغ . فيتحول ذلك البرق من بشير إلى مصدر شؤم وألم يزيد من حالة الحزن والشقاء والمعاناة فيعاوده الهم والحزن .

وهنا تتجسد القيمة الفنية للتشبيه وتأتي فاعليته من خلال التوازي في الدلالة بين لمعان البرق وتقلب بطن الحية .

لمعان البرق ـــــ يزيد من الحزن والهم

تقلب بطن الحية ـــــ يزيد من أفراز السموم

وهذا التوازي في الدلالة بين طرفي التشبيه جعل الصورة أكثر حيوية وأقوى أثراً في الملتقى الذي يجد متعة ولذة وهو يجهد عقله وقواه الذهنية في تتبع تفاصيل الصورة لديك خصوصيتها وماتحمله من معان تتوازى فنياً مع ذلك التكتيك . وهذا النمط الفني الراقي يمثل أكثر الصور التشبيهية الواردة في شعر دعبل الخزاعي ومنها قوله في البيت المتقدم . والذي تقوم فيه الصورة على البنية الآتية .

مشبه + أداة + مشبه به

النفس + كأنما + رصداً .

حيث نلاحظ أن الشاعر قد قدم الأداة ( كأنما ) في مطلع البيت لأهميتها في إنتاج الدلالة وتوكيد المعنى ، فالتناسب والمشكلة بين طرفي الصورة في هذا النمط من التصوير وهو من التباعد والتنافر بحيث يصعب على الخيال أدراكه وفهم خصوصيته بسهولة ويسر . ولهذا فهو يحتاج إلى قدرة عالية من التفكير حتى يتمكن المتلقي من أدراك مغزى الصورة الذي أحاط به الغموض وخاصة قوله (نفسه .....منها على نفسه) فشدة الخوف والحيل عند هذا الرجل جعل هذه النفس الحريصة على صاحبها الخائفة عليه في أرض المعركة تراقب حركاته وسكناته مراقبة أشد من مراقبة العدو المتربص به الراصد له . وتتجلى هذه المشابهة بين نفس الجبان وعدوه من خلال

الأداة (كأنمـا)التـي تفيـد توكيـد معنـى الاقتـراب وتفـتح المجـال أمـام الـوهم والظـن وكـذلك تتجلـى المقاربـة مـن خـلال الـرابط المعنـوي (وجـه الشـبه) المتمثـل بـالحرص الشـديد والمراقبـة الدقيقـة التـي ترسـم العلاقـة بـين طرفـي الصـورة بشـكل يفسـح المجـال واسـعاً أمـام الخيـال ليحلـق بعيـدا محـاولاً تصـوير تلـك العلاقـة بـين طرفـي الصـورة . وهكـذا وجـدنا كيـف أن هـذه البينـة مـن بنـى الصـورة التشـبيهية قـد أعطـت الصـورة قيمـة جماليـة أرقـى مـن بنيـة التشـبيه المفصـل حيـث أنهـا تعطـي العقـل مسـاحة لا بـأس بهـا يتحـرك فيهـا وهـو يحـاول أدراك دلالـة الصورة ،وثمة نماذج كثيرة تمثل هذه البنية في شعر دعبل منها قوله :

**نوفى على هام الخلائف مثلما  توفي الجيال على رؤوس القردد** (٢٢)

اذ يوظـف الشـاعر الصـورة التشـبيهية للفخـر بقومـه ، فيـنجح فـي أختيـار الألفـاظ المعبـرة التـي أعطـت الصـورة رونـق يجـذب المتلقـي ويتكـرر قالـب التشـبيه هـذا فـي البيتـين الآتيين .

**أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي  كحالم قص رؤيا بعد مدكر** (٢٣)

**دماؤهم ليس لها طـالب  فطلو له مثل دم العـذره** (٢٤)

وفـي البيتـين الرابـع والخـامس تتجلـى قـدرة الشـاعر فـي نظـم الصـورة البيانيـة التـي تتخـذ مـن التشـبيه أداة معبـرة لينـتج عـن ذلـك صـور كاريكوتيريـة مـؤثرة فلـم يكتـف الشـاعر باستعارة اللدغة للمرأة يهجوها بل أكد بتشبيه هذه اللدغة بلسعة الزنبور فيقول

**قبلتها فوجدت لدغة ريقـها  فوق اللسان كلسعة الزينور** (٢٥)

**يا من معانقها يبيت كأنـه  في محبس قمل أو في ساجور** (٢٦)

ففي البيت الأخير أختار الشاعر تشبيه الجمع (٢٧) الذي يتعدد فيه المشبه به دون المشبه كي تكون الصورة أكثر جمالا وأعمق تأثيراً ، فضلا عن أن الصورة ومن خلال اختيار الشاعر لألفاضه أخذت منحى ساخرا كاريكتوريا .

## بنية التشبيه البليغ :

التشبيه البليغ هو ماحذفت منه (الأداة ووجه الشبه) معاً [٢٨] . وبينته (مشبه + مشبه به ) وتشكل من هذا التشبيه بنية تمنح علاقة مماثلة بين طرفي الصورة وهي أرقى درجة وأعمق أثراً المشابهة التي تنتجها البنى السابقة . حيث نجد أن الأداة عندما تذكر في التشبيه فإن كل واحدة منها تحمل معنى معين ومحدد من درجة المشابهة في حين أننا عندما نحذف الأداة نكون قد جعلنا المشبه يرتقي إلى درجة المشبه به ويماثله فضلاٍ عن أننا نكون قد فسحنا المجال أمام العقل والخيال للبحث عن خصوصية الصورة لأن هذه الصورة لايتسنى للناس أدراك خصوصيتها وإنما يكون أدراكها حكراً على الخواص لما فيها من تعميه وخفاء ومن شواهد وهذه البينة قوله [٢٩] .

**إذا ما اغتدوا في روعة من خيولهم وأثوابــهم قلت البروق الكواذب**

**وإن لبسوا دكن الخزوز وخضرها وراحو فقد راحت عليك المشاجب** [٣٠]

نجد أن الصورة في هذين البيتين تقوم على التشبيه وهذا التشبيه يقوم على البنية الآتية:

مشبه + مشبه به

الفرسان + البروق الكواذب

القوم عليهم ثياب الملك + المشاحب

حيث نجد أن الشاعر لجأ إلى هذه البنية ليعطي الصورة أبعاد فنية جديدة، فهؤلاء القوم لهم مناظر تعلوها الروعة والرهبة إلا أن هذه المناظر وهمية ليس لها فاعلية في الواقع الحربي والقتالي . حتى يصور لنا هذه الحقيقة بصورة مجسدة ومؤثرة لجأ الشاعر إلى حذف الأداة ثم عمد إلى الإشارة إلى البروق الكواذب وهي التي لها صوت يكاد يذهب بالأسماع وله وميض يكاد يذهب بالأبصار وما أن تظهر حتى يستبشر الناس بالغيث والمطر ولكنهم سرعان ما يتبينوا أن هذا الصوت واللمعان قد أختفى بدون فائدة . أي أنها بروق كاذبة لا فائدة منها .

وهكذا جعل هذه الصورة في الشطر الأول تقابل الصورة في الشطر الثاني وهذا التقابل بين الشطرين أنتج لنا صورة تشبيهية قائمة على المماثلة فالشطر الأول مشبه والشطر الثاني مشبه به وطرفا الصورة متماثلان . وهذه الهيئة في حالة القتال أما في حالة السلم فيشير إلى الحالة العظمى التي يظهرون بها وقد لبسوا الخزوز ...الخضراء والداكنة التي لاتمتلك من مقومات الملك والعظمة إلا الثياب والمظهر ثم يتحول من هذه الهيئة إلى ما يقابلها ويتوازى معها في المظهر

والجوهر فليجأ إلى المشاجب مشاجب القصار وهي :(مجموعة أعواد يتجمع رؤوسها وتشد ثم يضعها المزارع في مزرعته ويضع عليها قماش ليوهم الطيور والحيوانات فلا تعبث بمزروعاته ) ويتخذ منها عنصر موازياً لأولئك القوم وهكذا نجد الشاعر يلجأ إلى الطبيعة ليتخذ من مظاهرها الحسية عناصر يؤكد بها حقيقة جوهرية عند بعض البشر معتمداً على بنية التشبيه البليغ الذي ينتج لنا مماثلة بين طرفي بين طرفي الصورة كما في البيت الآتي [٣١] :

**عبثاً تمارس بي تمارس حية  سوارة إن هجيتها لم تلبث** [٣٢]

فالصورة في هذا البيت تقوم على البنية الآتية :

مشبه = مشبه به

تهيج الشاعر = تهيج الحية

ونجد الشاعر يبدأ البيت بكلمة (عبثاً) وهي المصدر يحمل الحديث مجرداً من الزمن وهذا الاستعمال له دوره الفاعل في أبراز المعنى المتخفي في ثنايا الصورة حيث أراد الشاعر أن يصور لنا صفة وعادة دائمة فيه وهي سرعة الغضب والهيجان عندما تستشار حفيظته وحتى يؤكد هذه العادة عنده عمد إلى التشبيه البليغ لما له من خصوصية في تصوير المعنى فشبه نفسه بالحية في الهيجان وسرعة الفتك . لم يكتف بذلك بل لجأ إلى حصر الصورة في حالة معينة من حالات الحية وأعطاها أبعاد فنية أكثر تعقيداً وغموضاً حيث إستعار لها صفة من صفات الانسان (التسور) وهي حالة ناتجة عن تعاطي الخمرة والحية لا تتعاطها ، وإنما شبهها بالإنسان المسوار (وهوالذي تسور الخمر برأسه سريعاً) بجامع (سرعة الهيجان والإنفعال) ثم حذفه تاركاً قرينته ( التسور ) ليعطي المشبه به خصوصية عالية ، بحيث تزيد من جمالية الصورة لأن المشبه به في هذه البنية يعد معادلاً للمشبه (الشاعر) ، ولذلك نجده يعمد إلى تعمق الدلالة في المشبه به وتكثيف التصوير حتى يزيد من خصوصية المشبه ، ولأن هذه البنية من بنى التشبيه ينتج عنها مماثلة بين طرفي الصورة ، فكلما زاد المشبه به عمقاً دلالياً وبعداً فنياً أنعكس ذلك على المشبه . كما أننا نشم من وراء هذا البناء الدقيق في رسم الصورة رائحة التهديد والوعيد لكل من يعادي الشاعر أو يغضبه . وهكذا نجد هذه البنية من بنى التشبيه تلعب دوراً مهماً في أبراز المعنى وأعطائه إطار فني يمنحه جمالية وفنية مؤثرة .

ومن شواهد هذه البنية أيضاً قوله [٣٣] .

**حباً تلبس بالأحشاء فامتزجا  تمازج الماء بالصهباء في الكأس**

وتقوم الصورة في هذا البيت على بينة التشبيه البليغ كما في الشكل الآتي.

مشبه + مشبه به

أمتزاج الحب بالاحشاء + تمازج الماء مع الخمرة

وهنـا نجـد الشـاعر يشـابه بـين (معنـوى مجـرد ) و (عينـي محسـوس ) وذلـك ليثبـت لمعشـوقته المـدى الـذي وصـل إليـه حبـه لهـا . مجسـداً المجهـول فـي هيئـة المعلـوم . وكشـف عن خبايا المستتر الذي يعلم بما تحيره من عناصر يدركها الحس .

وفي هذا تتجلى أهمية (المشبه به) في إجلاء غموض (المشبه) والإنابة عنه . ولم يستعمل دعبل الأداة هنا حتى يجعل العلاقة بين طرفي الصورة هي علاقة مماثلة وليست مشابهه وهذا ما يجعل المشبه في غاية الوضوح . وهكذا نجد إن هذه البنيه قد كان لها دور فاعل في رسم الصورة التشبيهية عند دعبل بما لها من خصوصية فنية حيث شكلت هذه البنيه نسبة ٥٤% من مجمل الصور الواردة في شعره وهذه البنى كانت تمثل النمط الأول من أنماط الصورة التشبيهية ، اما النمط الثاني وهو التمثيل الذي يعد أرقى فنياً من هذا النمط الأول .

**التمثيل :**

وهـو الـنمط الثـاني مـن أنمـاط الصـورة التشـبيهية ، ويسـمى التشـبيه التمثيلـي كمـا أنـه وجـه آخـر لتجليـات الجمـال والإبـداع الفنـي فـي التصـوير البيـاني ، وإذا كـان التشـبيه فـي بنـاه المختلفـة قـد حقـق أداءً رائعـاً فـي التصـوير البيـاني فـي شـعر دعبـل . علـى الـرغم مـن بسـاطته ووضـوحه فـإن التمثيـل وأشـد تـأثيراً وأبلـغ مـن بقيـة أنـواع التشـبيه . وقـد حفـل شـعر دعبل بمساحة كبيرة من هذا النمط وتجلت أهميته في الصور التشبيهية في شعره.

ولعـل تركيبـه واسـناده واخفـاء (وجـه التشـبيه) فيـه يمنحـه القـوة والايضـاح ، والبلاغـة فـي التعبير يقول في ذلك الإمام عبد القادر المرجاني إن التمثيل صورة مركبة لوجه شبه مركب . ينتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض . ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الجمع بين الأشياء، ثم يخرج بعضها ببعض حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حالة الأفراد [٣٤] يعني التشبيه . ولذلك ذهب الإمام عبد القاهر إلى ألى أن المشابهه في التمثيل لاتدرك إلا بضرب من التأويل لأنها تنتزع من مقعد [٣٥] ومن شواهد هذا النمط في شعر دعبل قوله [٣٦] .

**فلا تنكح كريمك نهشلياً فتخلط صفو مائك بالغثاء** [٣٧]

يوصي بحدة الانفعال عند الشاعر إزاء هذه الغضبه . ثم يمضي بعد ذلك في طرح مبرزاً لها من خلال التشبيه . فيشبه (تزويج النهشلي ) (بخلط صفو الماء بالغثاء) معتمداً على التضاد

في بنيه (المشبه بـه) – (صفو x غثاء) الذي يعطي الصورة بعداً دلالياً واضحاً يزيد من دينامية الصورة حيث جعل هذه الصورة المتجسدة من خلال الفعل (مختلط) في الشطر الثاني دليلاً قاطعاً على صحة رأيه.

وهكذا يأتي الشطر الثاني ليكون مكملاً للصورة في الشطر الأول . إذ لا معنى لها إلا بـه. كما نجد أن الشطر الثاني يعد نتيجة حتمية لمخالفة النهي في مطلع البيت ويتجسد جمال التصوير في البيت من خلال التوازي الدلالي . والاطراد بين الشطر الأول – الذي يمثل جملة الشرط حيث يقوم الطلب (النهي) مقام (إن) الشرطية – وبين الشرط الثاني – الذي يعد جواب الشرط – وكأن البيت جملة شرطية وجملة جواب الشرط هي النواة في الجملة الشرطية وهي في هذا البيت (فتخلط صفو مائك بالغثاء)فمدار الأمر في البيت هو الافساد القائم على الجمع بين الضدين (صفو x غثاء) وهو الفكرة التي يدور حولها البيت. وهكذا نجد أن المشبه به هيئة حاصل من الخلط والجمع بين المتضادين بمعنى أنه صوره متنزعه من متعدد .

وبالعودة إلى مطلع البيت (فلا تنكح) نجد أن النهي يحمل دلالة مجازية تؤكد هذا المعنى مفادها ، التحذير وبيان العاقبة ، ومن هنا وعبر هذا البناء والحشد اللغوي والتعدد في الأساليب تتجلى القيمة الجمالية للصورة التشبيهية التي لعب التمثيل القائم التجسيد الحسي والتوازي الدلالي دوراً مهماً في نسجها وأعطائها أبعادا فنية ودلالية ومن النماذج الأخرى التي تقوم على حشد بياني مكثف قوله [٣٨] :

**كيف السلوَّ لمن أعضاؤه مزق  جسم بطوس وقلب دونه النجف**

وقوله [٣٩] :

**مازلت أكلاً برقاً في جوانبه  كطرف العين يخبو ثم يختطف** [٤٠]

**برق تجاسر من خفان لامعه  يقضي اللبانة من قلبي وينصرف** [٤١]

غموضاً وكئابة لجأ الشاعر إلى الاستفهام كمنطلق يتحرك عليه ليرسم هذه اللوحة (كيف) فكأن الشاعر ينكر هذه الحال ويرفضها . لكنه سرعان مايتركها . عندما يؤمن أن لا مفر من هذا الواقع . ويمضي في سرد مبررات هذا الشقاء والألم بعد اليأس وكيف الخلاص منه فيعمد إلى الاستعارة لتجسيد الصورة حيث شبه حبه لأهل البيت وهو المعنوي بأعضاء ممزقة وموزعة (قلب – جسم) بين طوس وفيها الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام ) والنجف وفيها علي بن ابي طالب (رضي الله عنه ) وهذا الجسم مبعثر الأشياء هنا وهناك . فيسقط ماحل بآل البيت في الواقع الخارجي على واقعه النفسي ليجسد الحالة الوجدانية عنده وهنا يكمن سر الاستفهام (كيف) فهو

انكاراً وأستبعاداً يتجلى من خلال التوازي بين الواقع النفسي له والواقع الخارجي لآل البيت . بمعنى أنه لاينكر على طوله وثقل همومه التي ألقاها عليه انما جعله موازياً لأعداء آل البيت الذين أتخذ منهم معادلاً موضوعياً لحالته النفسية وتأتي الصورة في البيت الثاني لتشكل منحنى آخر في ابراز حالة الأسى والحزن التي فرضها الليل على الشاعر من خلال التمثيل . حيث جعل لمعان البرق الذي يبدد الظلمة وهو يتراءي في ظلمة الليل كطرفه العين (أي لحظها السريع) ليؤدي دلاله واضحه على شدة الحيرة والوحشه عنده وتطلعه إلى الخروج من هذه الظلمة لليل بما فيها .. لمعان البرق يمثل شعاع آمل له فيظل يرقبه . لكنه سرعان مايختفي فيزيد من شجونه وآلامه . وهذه الدلالة تتوازى مع نظرات المعشوقة إلى عاشقها في الحالتين . وبعد هذا التوازي بين لمعان البرق ولحظ المرآة الخادع يلجأ الشاعر إلى الانعكاس الدلالي الذي تتجلى الاستعارة من خلاله حاملة شحنه شبه البرق بالانسان المعادي له الذي يعمد إلى إذائه عند الأزمات ثم بحذفه تاركاً قرينه (يقضي اللبانه وينصرف ) وهنا يتجسد أنعكاس الدلاله في البيت الأول عنها في البيت الثاني – حيث كان البرق شعاع آمل يبدد ظلمة الليل فيتحول إلى عدة يعين الليل على الشاعر.

ويتجسد جمال التصوير في هذه اللوحة من خلال تشابك الصورة المتنوعة (الاستعارة – تمثيل – أحتقاره ) المصحوب بالدلات الوجدانية المكافئة للاستفهام في مطلع اللوحة (كيف) تبرر الحالة الوجدانية التي يعيشها الشاعر وهي حالة مأساوية مفعمه بالحزن والألم . الذين نزلا باشاعر لما أصاب آل البيت . وهكذا نجد حشد الصور وتنوعها وتداخلها القائم على تقابل الدلالة أحيانياً وانعكاساً أحياناً أخرى قد لعب دوراً مهماً في رسم هالة الأغتراب التي يعيشها الشاعر. ومن الشواهد الأخرى الذي يتجلى من خلالها التمثيل قول دعبل [٤٢] :

**أخني الزمان على أهلي فصدَّعهم تصدع القعب [٤٣] لاقى صدمة الحجر [٤٤]**

تقوم الصورة في هذا البيت على التمثيل القائم على البنية السادسية كما في الشكل الآتي :

المشبه : آل البيت غدر الزمن تصدع وتمزيق

المشبه به: الفعب أصطدام الحجر تصدع وتبعثر

حيث يعمد الشاعر إلى حشد آليه التصوير البياني لرسم لوحة المشبه . فيجعله بناء شامخا ضخما ، ثم حذفه تاركاً قرينته (التصدع) ثم ينتقل إلى المجاز فيسند فعل التصدع إلى الزمان . أي أنه ينسب كل ما حل بآل البيت من تشريد وقتل وتمزيق إلى

الزمـان وهـذا الحشـد يعكـس لنـا حالـة الشـاعر الوجدانيـة المضـطربة لعظـم المصـاب الـذي حـل بـآل البيـت . فجـاء هـذا التصـوير البيـاني مركـزا ومكثفـاً ومتشـابك الأجـزاء ليقـدح فـي ذهـن المتلقـي نـار الحسـرة والألـم التـي يلاقيهـا الشـاعر ويفـتح لـه مسـاحة واسـعة لينطلـق خيالـه خلالهـا متصـوراً هـذه الحالـة عنـد الشـاعر حتـى أذا مـا وصـل المتلقـي أليهـا تحـول الشـاعر ليرسـم الصـورة المقابلـة لهـذه اللوحـة الفنيـة التـي يجسـد فيهـا واقـع آل البيـت حيـث يشـير القـدح الضـخم الجـاف الـذي يتطيـر إلـى أجـزاء مبعثـرة بفعـل أصـطدامه بـالحجز إلـى الواقـع المعـاش عنـد آل البيـت أي أن هـذه الهيئـة المكونـه مـن المسـاحة المحيطـة بـالحجر وتلـك الأجـزاء مبعثـره حولـه هـي الصـورة الحسـيه المصـغرة المقابلـة لواقـع آل البيـت إذاً فوجـه الشـبه لـيس مفـرد وإنمـا هيئـة متكاملـه منثرعـه مـن أمـور متعـدده (حجـز – أجـزاء مبعثـره – لحظـة الأصـطدام ) أي أن صـورة مركبـه وهكـذا نجـد أن هـذه الهيئـة التـي أطلقنـا عليـه وجـه الشـبه لايمكـن الوصـول اليهـا مباشـرة بـل لابـد مـن كـد الـذهن وإجهـاد القـوى العقليـة فـي التحليـل والتأويـل ليصـل المتلقـي إلـى خصوصـية الصـوره ويعـرف كنـه مغزاهـا . وهـذا الضـرب مـن التأويـل والتحليـل هـو الفـرق الجـوهري بـين التمثيـل والتشـبيه وهـو مـا أشـار إليـه العلامة عبد القاهر [٤٥] .

---

[١] ينظر :شعر دعبل بن علي الخزاعي ، د. عبد الكريم الاشتر ، مطبوعات المجمع العلمي العربي،دمشق ، (د .ث) ص١٢

[٢] ينظر :لسان العرب ،ابن منظور ، دار احياء التراث العربي – بيروت ،ط٣ ،ج٤ ص ٣٥٠ مادة دعب

[٣] ينظر :معجم الادباء – ياقوت الحموي – دار احياء التراث العربي – بيروت ط٢ ، (د.ت ) ج١١ ص١٠١ ومابعدها
معجم ألقاب الشعراء ، د. سامي فكي العاني :مكتبة الفلاح .دبي ط١ ،١٩٨٢ م ص ٢٢٨

[٤] ينظر : الاغاني ، ابوفرج الاصفهاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،١٩٩٤ ج ٢٠ ص ٢٩٤

[٥] ينظر : في المصطلح النقدي د. أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ،مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠٢ م ،ص ٢٠١

[٦] ينظر : لسان العرب ،ابن منظور ،دار احياء التراث ، بيروت ، ط٣ مادة (صور)

[٧] ينظر : التعريفات ، الشريف الجرجاني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، (د .ت ) ص٧٧

[٨] ينظر : الحيوان ، الجاحظ ،تحقيق عبد السلام هارون ،مطبعة الخانجي ، القاهرة ط٢ ،ج٣ ص ١٢٣ ، والعمدة ابن رشيق القيرواني ج٢ ص ٢٩٤

(٩) ينظر : أسرار البلاغة ، عبد القاهرؤ الجرجاني ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ،ط١ ،١٩٩١ ،ص ٩٣

(١٠) ينظر : أسرار البلاغة ص ٩٠-٩١

(١١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه /القيرواني – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد –دار القلم – بيروت ط٤ ج٢ ص٢٣٣

(١٢) الكامل في اللغة الادب، المبرد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٥٦ ، ج٣ ص ٩٣

(١٣) ينظر : الايضاح في علوم البلاغة ، القزويني – شرح وتعليق ، د. محمد عبد المنعم خفاقي ، دار الجيل ، بيروت ط ٣، ١٩٩٣ م ، ص ١١٩.

(١٤) ينظر : المثل السائر لابن الأثير ، تحيق داحمد الجوفي .د بدوي طبانه ، مؤسسة الرسالة القاهرة ج١ ص276

(١٥) ينظر :الخصائص الأسلوبية والبنائية في نثر الامام علي (رضي الله عنه ) ،د. سعد التميمي ، اطروحة الدكتوراه ، جامعة أ/ ردمان الاسلامية ،السودان

(١٦) شعر دعبل ص ١٢٦

(١٧) سمج – قبح والسماجة والقبح ، مفهومة : المغوه النهم شديد الأكل ينظر لسان العرب مادة (سمج) (فوه)

(١٨) شعر دعبل ص٧٦

(١٩) العثنون :اللحية : أو ما فضل منها بعد العارضين او ما بنت على الذقن سفلاً أو طولاً ، المغلاه: مايجعل فيه العلف ويعلق في عنق الدابه .

(٢٠) الديوان :٦٠.

(٢١) الصرف من الخمرة: هي غير الممزوجة ، المنصب:ذو المنصب وهو الأعياء ، رصده :راقبه ليوقع به

(٢٢) شعر دعبل ص ٩٨ ،والقردد ماارتفع من الارض

(٢٣) شعر دعبل ص١١١.

(٢٤) شعر دعبل ص ١٢٨ ، العذرة الختان.

(٢٥) شعر دعبل ص ١١٧ .

(٢٦) شعر دعبل ص ١١٦ ،الساجور :خشبة تعلق في عنق الكلب.

(٢٧) ينظر :مباحث في علم البيان ، د. سعد التميمي ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط١ ، ٢٠٠١ مص ٣٩

(٢٨) ينظر : التلخيص ص ٢٨٥

(٢٩) شعر دعبل ص٥٥.

(٣٠) الخز : نوع رفيع من الثياب الجمع خزوز ، المشاجب : مشجب القصار عيدان تظم رؤوسها بين قوائمها توضع عليها الثياب

(٣١) شعر دعبل ص٨٢.

(٣٢) السوار : الذي تسور الخمر برأسه سريعاً . (يريد : سرعة الهيجان ) ،الممارسة : المعالجة

(٣٣) شعر دعبل ص ١٢٢.

(٣٤) ينظر : أسرار البلاغة ص ٩٠-٩١.

(٣٥) المصدر نفسه :١٥٦.

(٣٦) شعر دعبل ص٤٧.

(٣٧) كرم الرجل : جاء بأولاد كرام . وكل شيء يكرم عليك فهو كريمك ، النهشل : الرجل المسن المضطرب من الكبر وقيل الذي أسن وفيه بقية( اللسان :- نهش)، الغثاء :الزبد والقدرة

(٣٨) هذا البيت لايوجد في الديوان وقد ذكره صاحب كتاب الجمان في تشبيهات القرآن ص ١٥٤.

(٣٩) شعر دعبل ص ١٥٠.

(٤٠) كلاً البصر في الشيئ رده فيه ، اختطف البرق البصر : ذهب به.

(٤١) تجاسر : عبر ومضى ، (خفان) : بلد قريب من الكوفه . فيه غياض تكثر فيها الأُسد .اللبانة : الحاجة والمطلب.

(٤٢) شعر دعبل ص ١١٠.

(٤٣) العقب : القدح الضخم الجافي.

(٤٤) الديوان : ١٤٢.

(٤٥) أسرار البلاغة / الجرجاني :١٦٦.

## المصادر والمراجع

- أســرار البلاغــة ، عبــد القــاهر الجرجــاني ، تحقيــق محمــود محمــد شــاكر، دار المدني، جدة، ط١ ، ١٩٩١
- الاغاني ، أبو فرج الأصفهاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٤
- الايضــاح فــي علــوم البلاغــة ، القزوينــي ، شــرح وتعليــق ، د. محمــد عبــد المــنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ط٣ ، ١٩٩٣ م
- التعريفات ، الشريف الجرجاني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، (د.ت)
- الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ط٢
- شـعر دعبـل بـن علـي الخزاعـي ، د. عبـد الكـريم الاشـتر ، مطبوعـات المجمـع العلمـي العربي ،دمشق ،(د.ت)

- العمده في محاسن الشعر وآدابه القيرواني– تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار القلم – بيروت ط٤
- في المصطلح النقدي د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي ، ٢٠٠٢ م
- الكامل في اللغة والادب ، المبرد ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٥٦
- لسان العرب ، ابن منظور ، دار احياء التراث ، بيروت ،ط٣
- مباحث في علم البيان ، د. سعد التميمي ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط١، ٢٠٠١ م
- المثل السائر لإبن الأثير ، تحقيق د. أحمد الجوفي د. بدوي طبانه ، مؤسسة الرسالة القاهرة
- معجم الادباء – ياقوت الحموي – دار احياء التراث العربي – بيروت ط٢ ، (د.ت) ج
- معجم القاب الشعراء ، د.سامي فكي العاني : مكتبة الفلاح . دبي ط١ ،١٩٨٢ .
- الاطاريح الخصائص الأسلوبيه والبنائيه في نثر الامام علي (رضي الله عنه) ، د.سعد التميمي ، أطروحة الدكتوراه ، جامعة أ/ ردمان الاسلامية ، السودان.